حوادث دمشق اليومية

(١١٥٤ ـ ١١٧٥ هـ ، ١٧٤١ ـ ١٧٦٢ م)

جمعها : الشيخ أحمد البديرى الحلاق
نقحها : الشيخ محمد سعيد القاسمى
وقف على تحقيقها ونشرها : الدكتور أحمد عزت عبد الكريم ،
أستاذ التاريخ الحديث بجامعة دمشق

[مطبوعات الجمعية المصرية للدراسات التاريخية القاهرة ١٩٥٩] .

فى المكتبة الظاهرية فى دمشق مخطوط كتبه الشيخ أحمد البديرى الحلاق بين سنتى ١١٥٤ـ ١١٧٥هـ الموافقة ا ١٧٤١ ـ ١٧٦٢م شرح فيه حوادث دمشق اليومية فى تلك الفترة شرحا عفويا صادقا « لقد كان البديرى منفعلا مع أحداث زمانه فأخذ يسجل ما شاهد وما سمع يوما بعد يوم ، دفعه إلى هذا هواية الكتابة ، والتعبير عن مشاعره . والتنفيس عن كامن عواطفه . لقد سجل لنا رأيه فى الناس وفى الحكام وفى الحوادث ، ووصف لنا الحياة بجميع مظاهرها وصفا دقيقا بارعا حتى نكاد نحس أننا نعيش معه فى تلك الفترة من القرن الثامن عشر ، نحيط بجميع جوانب الحياة وننفعل معها كما انفعل كاتبها بها .

لم يكن البديرى عالما « ولا متعلما » إلى درجة أنه يستطيع أن يكتب بلغة سليمة لكنه كان على جانب من ثقافة عملية شعبية يدرك ما يحيط به ، ويستطيع التعبير عن خلجات قلبه بأسلوب عامى لطيف ، وبشعر شعبى هو الزجل والمواليا . فأتى كتابه صورة حية عن حياة دمشق فى فترة من فترات التاريخ المجهول ليس فيها صنعة ولا تزويق ولا تزوير ، لأنه كتبه لنفسه ولم يكتبه لأمير أو وزير ... لذا كان كتابه مرآة تعكس لنا أحداث عصره ، ووثيقة تاريخية شعبية ، ومصدرا جيدا يصف لنا

الحياة الاجتماعية بتفاصيلها والحياة الاقتصادية برخائها وشدتها والنظام الإدارى والعسكرى بعسفه وفساده .

لم يصلنا كتاب البديرى كما كتبه تماما بل وقع فى يد عالم من دمشق فى القرن التاسع عشر هو المرحوم الشيخ محمد سعيد القاسمى ـ جد أسرة القاسمى الدمشقية الفاضلة ـ فنسخه لنفسه وبدا له أن ينقحه ويهذبه ويحذف منه بعض الألفاظ الحوشية العامية والأشعار الزجلية والأدعية الصوفية الطويلة ... لكن الذى وقع هو أن نسخة البديرى الأصلية التى كانت فى حوزة المرحوم الشيخ طاهر الجزائرى قد فقدت تماماً ، وبقيت لنا النسخة المنقحة ، وهى محفوظة فى مكتبة أسرة القاسمى العامرة ، وقد نسخ عنها نسختان موجودتان فى المكتبة الظاهرية بدمشق ونسخة أخرى فى المكتبة التيمورية فى القاهرة . وعلى نسخة المكتبة الظاهرية اعتمد العالم المحقق الدكتور أحمد عزت عبد الكريم ، طابقها مع النسخة التيمورية وراجع النقاط الهامة فى نسخة الأسرة القاسمية .

لقد أدى الدكتور عبد الكريم خدمة جلى للعلم والمتعلمين وللأمة العربية وخاصة الإقليم السورى بهذا الجهد الطيب الذى بذله فى تحقيق الكتاب . ولقد أتى تحقيقه دقيقا وافيا يستند على أمتن القواعد العلمية وإليكم الخطوات الهامة فى هذا التحقيق :

١ ـ المقدمة : يعتبر الدكتور أحمد عزت عبد الكريم بحق من أقدر المختصين بتاريخ العرب الحديث لذا كانت المقدمة المؤلفة من ٦٠ صفحة من أحسن ما كتب عن تاريخ دمشق فى العهد العثمانى بشكل مختصر ، فلقد أخذ مادتها من كتاب البديرى نفسه ومن الكتب المعاصرة أو القريبة من العصر المبحوث ككتاب العجمى (خلاصه الأثر ...) وكتاب المرادى (سلك الدرر ...) والمقار والقارى والغزى والجبرتى والأمير حيدر الشهابى والقرآلى ... ومن كتب الرحالة الأجنبية كفولنى وبورخارت وبرتون وأخيرا « تريس الذى يعتبر كتابه عن الحج أحسن مرجع له » .

لقد بين لنا المحقق فى المقدمة أهمية البحث عن المصادر الأصيلة والكشف عنها وصنف لنا هذه المصادر على نوعين :

ا ــ الوثائق الرسمية وهى بحاجة إلى حملة عظيمة تقوم بها الدولة ورجال العلم .

ب ــ الوثائق الأهلية (على حد تعبيره الموفق) وهى من أمثال كتاب البديرى التى تصف الحياة من الداخل .

لقد استنبط المحقق حياة البديرى من كتابه وأوضح لنا مهنته وبيئته ومستواه الثقافى والدينى والمادى كما ذكر لنا لمحة عن حياة المنقح الشيخ محمد سعيد القاسمى ومستواه العلمى والدينى ولم يغفل ذكر الأسرة القاسمية والنابهين فيها .

ثم حلل المحقق كتاب البديرى تحليلا رائعا وصنفه بحسب مواضيعه الهامة وكتبه بأسلوب علمى دقيق مستشهدا على كل نقطة بماذكره المؤرخون العرب القريبون من عصره والمحدثون والأجانب المعاصرون والحديثون .

لقد دلت كتابة هذه المقدمة على سعة اطلاع الأستاذ المحقق القدير فى هذا الموضوع ، وعرضت المواد التى يحويها كتاب البديرى عرضا موافقا للطريقة العلمية بحيث يستطيع الباحث أن يحيط بالمعلومات التى سردها البديرى متفرقة ومضطربة هنا وهناك ، وأن ينتفع بها .

٢ ــ تحقيق الكتاب : فى كل نسخة من النسخ المنقحة التى ذكرناها سابقا لا تأتى دائما الجمل والكلمات متطابقة ، ويعود هذا بلا شك إلى عمل النساخين ، ولقد استطاع المحقق من المطابقة والمراجعة أن يصل إلى أفضل حل وأقربه إلى قصد الكاتب والمنقح . ولقد ذكر فى الحواشى الملتبس من هذه المطابقات كما شرح فيها رأى البديرى ومقصده وبين أحيانا خطأ البديرى فى ذكر حادثة مستدلا بذلك من قول البديرى نفسه ومن أقوال معاصريه واستطاع أيضا أن يصحح ــ اعتمادا على البديرى ــ ما ورد فى الكتب الأخرى العربية منها والأجنبية لاعتقاده أن البديرى كان أصدق فى تصوير الحادثة وإيرادها

٣ ـ الفهارس : ذيل الكتاب بفهرس جامع للأعلام الواردة فى الكتاب وفهرس للأماكن والبلاد وفهرس للمصطلحات والوظائف. وهذه الفهارس بلاشك من أنفع ما يمكن أن يسديه محقق إلى جمهور الباحثين .

٤ ـ الفهرس المفصل لمواضيع الكتاب : لقد وضع العالم المحقق فهرسا مفصلا لمواضيع الكتاب فى النهاية يعين الباحث فى الحصول على غايته من الكتاب . وإن هذا الفهرس مع المقدمة عمل هام جدا يخدم موضوع الكتاب ويجعله سهل التناول .

٥ ـ أرفق الكتاب بمخططين لمدينة دمشق، نقلا عن العالم الفرنسى سوفاجه، أحدهما دمشق فى القرن ١٦ ، والآخر دمشق فى القرن ١٩ وعليهما صور توضح تطور المدينةالقديمة.

يقول الدكتور أحمد عزت عبد الكريم فى مقدمته : «نرجو أن يكون هذا الجهد المتواضع الذى نتقدم به اليوم لجلاء جانب من تاريخ سوريه فى القرن الثامن عشر مقدمة لهذه الحملة التى تدعوا إليها (أى الحملة لجمع الوثائق الرسمية والأهلية المتعلقة بالتاريخ السورى فى العصر العثمانى) ، ولبنة فى البناء التاريخى الذى ندعو لإقامته».

وقد أهدى الأستاذ المحقق هذا الجهد إلى البلد الطيب الذى أحبه وعاش فيه ثلاث سنوات يدرس فيها بجامعة دمشق ، وإلى الأجيال التى ستصنع الوحدة العربية بجميع مفاهيمها .

شكرا للأستاذ العالم المحقق على ما أسداه لهذا البلد ولجميع البلاد العربية من خدمة جلى ولما يقدمه إلى العالم والإنسانية من عمل طيب يفوح منه الإخلاص والإيمان بالقضية العربية .

محمد أبو الفرج العش
محافظ متحف دمشق